

عليك أن تعترف لطوني شكر بفضيلة واحدة على الأقل: الجراءة. هذا المعمار الحاضر بقوة في مشهد «الفن المعاصر» اللبناني، قد يرتكب أي شيء وهو واثق بأن ما ينتجه فن صافٍ أو... من عيون الفكر: يصعب الحسم هنا، لأن ما قدمه أول من أمس في «مركز بيروت للفن» ليس «محاضرة»، ولا «عرضاً أدائياً» (المصطلح مستهلك «بات يطلق على كل شيء تقريباً»). إذاً، ما هذا الشيء الذي يحمل عنوان «اليوم الثامن»؟ مجرد «عمل» دائم التشكل. «الكارثة لحظة واحدة تنكسر إلى ما لا نهاية» يقول.

منذ سنوات، يسأل طوني نفسه كيف يحكي عن الحرب؟ مهمة شبه مستحيلة لأن «اللغة دمّرت». لكنه «اهتدى»، لحسن الحظ، إلى بعض التفاصيل المتناثرة التي تدلنا على «الثقب الأسود»، فصنع منها الخلطة العجيبة. وها هو الكومبيوتر من أمامه والشاشة من ورائه، يعرض عليها صوراً التقطها لصور، يريدنا هكذا مهزوزة، وأغنية لفيروز من شعر ميشال طراد، ثم ترتيلة من أسبوع الآلام، ومقتطفات من أفلام برهان علوية وجوسلين صعب وآخرين. معلوماته «دقيقة» غالباً: كارل كراوس «صحافي ألماني»، «بيروت للقاء» أنجز في 1977، والمثل الشهير الذي بنى عليه إحدى نظرياته «الخنفسارية» هو «الله في التفاصيل»! حرب لبنان أخذته إلى زمن شكسبير، فاستخرج من «ريتشارد الثاني» فكرة «النظرة المواربة»، ثم طبقها على مشروع إعادة إعمار الضاحية، ساحقاً الأبنية على وقع سفر حزقيال من العهد القديم. يشرح لنا طوني كل شيء بإسهاب، كأننا به دليل سياحي يخاطب ضيوفاً أجانب. هذا «العمل» قدم أساساً وسيقدم له «الخواجهات» (مشاركته في «بينالي ليفربول» على موقع «الأخبار»)، ويمكن أن يكون عنوانه الفرعي «الأم لبنان للأغبياء والأجانب».

تاريخ الأديان

عن الجاهلية وحُماتها في فجر الإسلام



على خطى مواطنه هشام جعيط في مشروع «الفتنة»، يسير رضا بن علي كرعاني مفتياً أثر «أعداء محمد زمن النبوة» (دار الطليعة). الباحث التونسي يبرز أهمية العامل الاقتصادي في رفض الدعوة الإسلامية

ريتا فرج

«أعداء محمد زمن النبوة» (دار الطليعة) عنوان قد يبدو خارج المشاريع الفكرية التي تنهل من التاريخ ووقائع لإخراج الإسلام من أزمنة المعاصرة، لكن أطروحة التونسي رضا بن علي كرعاني الجديدة، ومناهجها، وأسلوبها الرصين، والقدرة على التحقق من الإشكاليات المطروحة عبر موضوعة

مصدر اقتصادي، «فكان الحج مناسبة دينية ومناسبة اقتصادية، وكان أهل مكة يستفيدون من قدوم وفود العرب إلى مكة تعظيماً لبيت الله الحرام». وعليه كيف انتقل الحج إلى الكعبة من تعدد الآلهة إلى التوحيد؟ في المرحلة الأخيرة من الجاهلية، ومع تعاضل النفوذ التجاري لأهل مكة، كانوا ينتظرون ظهور مصلحين، ويتمنون أن يكون لهم كتابهم ورسولهم كما الحال عند النصارى واليهود. هذا ما يلفت إليه كرعاني. لكن ثالوث المعتقد الديني، والمكانة الاجتماعية، والمصالح الاقتصادية، تحكمت في علائق أسياد مكة مع رسالة التوحيد.



الرسول لم يعاد اليهود، بل سعى إلى تأسيس أمة تتسم لهم



مع الهجرة إلى يثرب (المدينة)، اتخذ الصراع بين محمد وأهل مكة طابعاً حربياً، وبدت صورة الأحداث أوضح مما كانت عليه في الفترة المبكرة. القرآن تحدث عنها بوضوح، والذاكرة الجماعية تناقلتها. الفترة المدنية أظهرت الطابع السياسي، على خلفية «تحالف محمد مع الأوس والخزرج ضد قريش»، وأبرزت وجهاً جديداً، للرسول، وجه القائد العسكري والسياسي. وبدقة علمية تستند إلى تفكيك النصوص، يشرح الكاتب المفارقات في ما يتعلق بتدوين الأحداث منذ بداية الدعوة، وصولاً إلى العداء بينه وبين أهل اليمن. السيطرة على الخط التجاري

بين مكة وبلاد الشام، لم تحرك وحدها استراتيجية محمد: «كان على وعي تام لمكانة مكة الخطيرة عند العرب، فإظهار إصراراً قوياً على السيطرة عليها» كما يؤكد كرعاني. لا تروي المصادر الكثير عن أعداء محمد من يهود يثرب، لأن معظمهم «لم يصدقوا بنبوته واتخذوا موقفاً معادياً منه». عداؤهم لمحمد اتخذ منحى ضد الناس من الدخول في الدين الجديد، والمشاركة في الحرب ضد أتباع الرسول. ورغم أن الرسول سعى إلى بناء أمة «تجمع المهاجرين وأبناء عشائر الأوس والخزرج»، وهي قبائل يهودية، فما لبث اليهود أن جادلوه «عقائدياً وسياسياً» كما يلفت كرعاني. فيما لم يعاد الرسول اليهود، بل سعى إلى تأسيس أمة تتسع لهم، غير أن الافتراق الذي وقع لم يكن سببه دينياً، بل كان اقتصادياً ومجتمعياً، فهؤلاء كانوا «يسيطرون على يثرب من قدومه إليها».

أعداء محمد خارج مكة ويثرب، كانوا من أهل الطائف، وأعراب الحجاز وأهل خيبر، وبعض قبائل جنوب بلاد الشام، هذه القبائل الموزعة بين العداء بين اليهود ومحمد رافقه منذ بداية دعوته، فيما «النصارى» كانوا بعيدين، ربما لضعف وجودهم في الجزيرة العربية. ونلاحظ أن عداوة اليهود كانت أشد وطأة. عداة اقتصادي، رافقه دعوات إلى الفتنة وتفكيك أوامر الجماعة الإسلامية الأولى.

أهمية أطروحة رضا بن علي كرعاني متعددة الجوانب: فقد قارب النصوص التأسيسية بمنهجية علمية مقارنة، وبنى عليها نتائج. ولم يبد أي انحياز، طوال تتبعه لمسيرة محمد مع أعدائه من مكة إلى أهل اليمن، إلا للتحقق من إشكالياته. ورافق تمثالات الرسالة الحمديّة وعلاقتها مع القبائل البعد أبعاد مختلفة، لعل أهمها البعد الاقتصادي الذي رسم الحيز الأشد حضوراً في علاقة محمد بخصوصه.

بحث

نادر كاظم... الكراهية غريزة العصر

صلاح حسن

يبدو أننا لن نستطيع أن نتخلى عن خدمات فرويد ونحن نوثق كل يوم غرائزنا التي تنحدر مع مرور الوقت، حتى يخشى المرء أنه قد يعود حيواناً غير معقلن في يوم من الأيام. كتاب الباحث نادر كاظم «كراهيات منفلتة» (الدار العربية للعلوم - ناشرون) يعيدنا بقوة إلى المصائر التي تنتظرنا، نحن سكان هذه المنطقة من العالم التي تزدهر فيها الكراهيات المجنونة مثل الفيروس. لن نبحت للقارئ عن أمثلة، فهي كثيرة يعيشها يوماً من المغرب إلى العراق.

إذا كانت الكراهية وفق فرويد غريزة غير قابلة للاستئصال من النفس البشرية، فإن «المجال العام» أو الرأي العام العالمي، بتعبير الفيلسوف الألماني هاينريش، لم يستطع أن يعقلنها حتى هذه

اللحظة، وفي أكثر الديمقراطيات مثل أميركا وأوروبا. وهنا تتجلى عندنا بطريقة أقل ما يقال عنها إنها تجاوزت المرحلة الحيوانية بكثير حين نتعرف في العراق أو فلسطين أو لبنان أو السودان على كراهيات ينفنن الكارهون في استنباطها وتقديمها، كما لو أنها براءة اختراع. ما حدث في العراق إبان الحرب الأهلية لا يمكن أن نجد له أمثلة مقارنة، لأنه غير مسبوقة حتى في المجتمعات ما قبل إنسانية، لأن فيه خيالاً لم يراود أي مخرج سينمائي.

انتعاش الكراهيات بين الناس يستمد قوته من العزلة الجغرافية كما يقول نادر كاظم، ومن الإنكفاء والسرية والتقنية. لكن التطور الحاصل في العالم الحديث، وخصوصاً في تقنيات الاتصال، لم يستطع القضاء على هذه الكراهية إن لم يكن قد وفر لها



لا يخفي المؤلف انحيازه إلى فرويد، بدلا من ماركس وانغلز



على إلغاء هذه الكراهيات بعد تسلّم العمال سلطة العالم. لا ينفي المؤلف أن فكرة ماركس وانغلز لم تكن صالحة لهذا التفسير، ولا يخفي انحيازه إلى فرويد في تقدير هذا الأمر، لأنه لا يملك خياراً آخر لإثبات ما يريد أن يصل إليه. وقد فعل حسناً حين اختار الحقيقة العلمية بدل الأوهام التي عاشتها أجيال كثيرة لم تحصد طيلة عقود غير الإنزال والمهانة والتكفير، لمجرد أنها كانت تنتمي إلى هذه الأفكار. أهمية الكتاب تنبع من أن منفلتتنا تجتاحها كراهية أقرب إلى الفيروس، وتندثر بتصاعد كراهيات منفلتة وعريقة قد تنقل المنطقة كلها إلى حالة سأمها الجاحظ («نفس العرب»، تلك التي لا تبقى ولا تدر. هذه الكراهية الموعلة في التاريخ لا تضع أي حاجز في حساباتها، حتى لو كان الشخص مصدر الكراهية... أخاك.